

الجنسية من أرق الشعوب الأوربية . هذه الفتاة في رأبي أعظم في مجال إثارة الإحساس الاجتماعي والتقدير الصحيح لمركز الرجل التمدن من جميع الرواد القدماء .

هذا ويجب ألا يفوتنا أن عصرنا وحده هو عصر الارتياح الجغرافي الزماني ؛ فالباحث الأثري اليوم بموله ومجرفته في رمال مصر وربي فلسطين وسحراء العراق يفعل ما لم يفعله ملاح أو رائد من الرواد القدماء

نضيف إلى هذا أن دارون عاد من طوافه بقارات العالم بأعظم أداة من أدوات إزالة الجهل والغرور والاعتقاد بالكيان الأوحده المتمزل ، حينها سوى بين الإنسان والإنسان ، ووصل بين الإنسان والحيوان ، ولم يكن هذا طبعاً في القرن السابع عشر

وأخيراً كشوف الكواكب وكشوف الدرّة والأثير وسؤال الأستاذ : « ولكن ما شأن هذه الكواكب وما نحن فيه ؟ وأين هي من الحاسة الاجتماعية التي تعلق بها القصص وأبطال الرواية وأبطال السياحات ؟ »

وهل قلت قط إن الكواكب أو الدرّة أو الأثير تثير حسّاً اجتماعياً في النفوس ؟ هل قلبها صراحة أو ضمناً ؟ إنني أهمهم نفسي وأعود إلى مقال أقرأه حرفاً حرفاً فلا أجد شيئاً من ذلك وإنما أجد هناك أنني قلت : « ليست الكشوف الظاهرة قاصرة على الضرب في مجاهل الأرض واكتشاف أرجائها المجهولة ، وإنما هنا لأنواع وضروب أخرى من الكشف الظاهري لا تقل روعة وشدهاً للخيال وصرفاً للإنسان من داخله إلى خارجه عن أعظم المآثرات الجغرافية^(١) . » وقد سفت ذلك في مرض التدليل على أن بواعث الانصراف من الناخل إلى الخارج لا تكفي لتعليل

(١) هنا نجل الأستاذ العقاد أن يذهب به السهوي بحيث يقدر أن التريين (وهم المنيون بهذا الحديث) مثل معظم الشرقيين في ضوولة الثمالة وعدم الاحاطة بمختلف العلوم والمعارف فلا يمتنون بكشف علمي يكشف . ويكنى أن يلاحظ الأستاذ رواج المجلات العلمية في أوروبا من شهرية وأسبوعية ثم كيف تناع أخبار الاكتشاف الهامة على أسلاك البرق فإن لهذا دلالة التي لا تشكر

إلى عاصمة من عواصم أوروبا يستجدي مناصرة الأمراء والملوك قبل أن تمنّ عليه إزايلا بما مننت ومكنته من المضي في مناصره؟ قابل هذا بما يلاقه الرائد اليوم من العطف والتشجيع المادي والأدبي من جميع طبقات الشعب ، فتدرك أي فرق ثمة بين المصريين !

هذا ولينظر الأستاذ العقاد ما أصاب كولب بمداه من حق النفلة ، ولتوم المنافسة ، ليدرك أي المغانق الانسانية وأي الحواس الاجتماعية ، وأي الشكر لهذا الفتح العظيم قد أثار كولب في صدور قومه ! !

قد يقول الأستاذ العقاد : ليس من الضروري أن تكون الغاية ما ذكرنا من حب التواصل الإنساني والاستجابة لدواعي الفريضة الاجتماعية ، ويكنى أن تجيء النتيجة كذلك في هذه المقامات والكشوف . أحسب أن الأستاذ يعفني هنا من الإجابة الطويلة . فهو لا ريب يعلم علم اليقين النتائج المحزنة التي أفضى إليها اكتشاف كولب ودي جاما ومجلان وأميركا وغيرها من الأقطار المجهولة ، ويعلم أن الذهب والفضة والقتل والتحريق والتدمير والاسترقاق والاستعمار كانت النتائج الأولى لذلك الاكتشاف ؛ فأية حاسة اجتماعية هنا وأي تواصل صحيح بين الناس ؟ !

قابل بين أغراض الاكتشاف وخوافزه ونتائج هذه في القرن السابع عشر ، وبينها في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، فترى كيف يجب ألا تقدر الاكتشافات الجغرافية ، من حيث الحس الاجتماعي ، تقديراً هندسياً .

فأنا أرى أن ارتياح القطبين والميشة بين الاسكيمو ودراسهم درس العطف والفهم الصحيح لقيمة الحياة البشرية ، وأرى أن اختراق رمال الربع الخالي والاطلاع على نماذج الحياة الأولى في البادية العربية أجل وأسمى في الأغراض والنتائج الانسانية من كشف الأمريكتين وأفريقيا والهند جميعاً . وأرى أن الفتاة التي تقضى السنين في إحدى جزر الباسفيك تدرس الحياة الجنسية لأهل تلك الجزيرة وتكتب كتاباً رائماً تقول فيه : إن هذا الشعب الذي لا يزال على الفطرة أكثر إنسانية وأعظم مدنية في ممارسة الفريضة

من بحرنا العذب

مضت أعوام عديدة على ذلك اليوم الذي شعرت فيه بفتنة بدوار الصعود الفكري ، على أثر مطالعات كثيرة وتأملات عميقة في عزلة طويلة . وبدا ذلك على وجهي فسمعت طبيياً يسدى إلى النصيحة أن أترك كل شيء وأذهب من فوري إلى البحر ، أستنشق الهواء وأغمض عيني بنير تفكير . لقد كنت أحسب التأمل كل شيء في حياة الأديب ؛ وكنت أعتقد أن حياتي ستتمضي قراءة كلها وتفكيراً على ذلك النحو وبذلك المقدار ، فكنت أستسهل العاقبة وأتساءل عن النتيجة

ومرت الأيام فإذا بي أنصرف بعض الشيء عن المطالعة والتأمل . وإذا الأعوام تنفق في شيء آخر لم يكن في الحساب : هو البحث عن الجسم الذي يحل فيه تلك الأفكار الهائمة كالأرواح . هنا وضحت لمعنى العضلة . وفهمت أن التفكير في ذاته يسير ، ولكن المسير هو أن أقيم « الفكرة » على قدميها كأنها نابضاً يتحرك ويسير . إن القليل من عمر الفنان هو الذي يبدل في التفكير الصرف ، والكثير منه هو الذي يذهب في سبيل صنع ذلك اللحم والدم الذي ينبغي أن تسكنه الأفكار إن « الطبيعة » أستاذنا الأعظم نحن الأدياء والفنانين ، تفكر هي أيضاً ، غير أنها لا تفكر « كلاماً » فهي تجهل « اللغات الحية » ، ولكنها تفكر « مخلوقات حية »

« تفكير » الطبيعة « أسلوب » . وإن طريقها الواحدة في تركيب الكائنات جميعها : من عالم الجراثيم إلى عالم الأجرام لها وحدها التي تقرأ منها تفكيرها . « الخلاق » في الفن أيضاً لن يستحق هذا الاسم حتى يصبح التفكير عنده مماثلاً لتفكير الطبيعة ، فيملك تلك القدرة السحرية أو الهبة السماوية التي بها يخرج أفكاره من رأسه تجرى لابسة أبواب الحياة كذلك خالقو الشعوب وبناء الحضارات ، كل عبقرتهم أنهم لا يفكرون « كلاماً » ، وأن الأفكار والتأملات عندهم هم أيضاً لا تكتب كما هي ولا تقال ، إنما ترى قائمة متحركة في صورة أمة ناهضة أو على شكل ثورة متفجرة

ذلك معنى « الخلق » . وتلك هي « الأفكار » في لغة كل خلاق

نورين الحكيم

ظاهرة الاختصاص وبروز الفروق في الأدب . فهذا عصرنا مليء بيواعت الانصراف من الداخل إلى الخارج كما كانت العصر السابع عشر ، ولكن علم النفس مع ذلك يتقدم باطراد ، ولكن الرواية النفسية التحليلية تحتل المكانة الأولى في مكتبة الأدب الحديث

وأحسب أن من الخير أن أعيد هنا ما كنت ذكرته في مقالتي السابق تعليلاً لظهور الدراسات الباطنة وما تلاها من تأسيس علم النفس التحليلي الذي مهده أدياء الأجيال الحديثة في كتابة القصة النفسية أو التحليلية فقد قلت هناك :

« إن هذه الدراسات الباطنة للنفس كانت مظهرًا عاديًا يتساق مع المظهر العام لنشاط الفكر البشري في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فلما كشفت الكشوف الفلكية والطبيعية والكيميائية والفيزيولوجية ، كشفت كذلك الكشوف في مجاهل النفس وخوافي الحس . فذا اصطنمت الطريقة العلمية في البحث وأخذ العلماء يجرون على أسلوب المشاهدة والفحص والاختبار اتخذت دراسة النفس خطة منظمة مجدية ، فظهر أولاً علم النفس العام وتلاه علم النفس التحليلي ؛ ولكننا نعود ونقول إن هذه الدراسة لم يكن الحافز فيها والباعث عليها انتهاء الكشوف الظاهرة ، وإنما كان الحافز عليها اتساع هذه الكشوف وسيرها على خطة علمية منظمة مجدية شملت الجاد والحيوان والانسان جميعاً ... الخ »

وأخيراً نحن نسلم للأستاذ العقاد بنظريته جملة إذا فسر لنا نشأة علم النفس العام والتحليل بعمده معزولين عن فروع المعرفة الأخرى في القرن السابع عشر وبعده ، أما إذا اضطر أن يمد علم النفس في نشأته وتقدمه إلى حظيرة العلوم الأخرى من حيث الصلة والزمن ، فأحسب أن نظريته لا تسلم له مهما حاول أن يستفيد من « الحس الاجتماعي » و « الدراسة الباطنية » و « الدراسة الظاهرية »

وفي الختام أمل ألا أكون أثرت في صدر الأستاذ الكبير بهذا الكلام غير الشمور الذي يثيره طلب الحق ونشدان الصدق أريب عباسي